الفصل الثالث

كيف تفكر إسرائيل

السلاح الصاروخى واختلال موازين القوى

المبحث الأول: عملية المساندة الإقليمية.

المبحث الثانى: السلاح الصاروخى .. وموازين القوى فى الشرق الأوسط.

المبحث الثالث: التطوير الإسرائيلى للسلاح الصاروخى.

obeikandl.com

المبحث الأول

عملية المساندة الإقليمية

تحت هذا العنوان كتب د. حامد عبد الله ربيع:

«الإطار الدولى الذى نعيشه فى هذه اللحظة ينبئ بتطورات عنيفة، لاتزال العقلية العربية، بل وكذلك القيادات العربية غير واعية بأبعادها الحقيقية. تعودت قياداتنا أن تنظر إلى العالم الخارجى من خلال إدراكها الداخلى. وكما تعودت التعامل فى داخل واقعها السياسى، حيث تسود الجهالة من جانب، والتملق من جانب آخر، فهى تتعامل مع العالم الخارجى.

أضف إلى ذلك ثلاثة عناصر كان لابد وأن تحكم عليها بالفشل الحقيقى:

فهى أولا ترى فى السياسة الخارجية عملية مهارة، ولم تفهم بعد أنها نوع من الاحتراف.

فهى ثانيا لاتعترف بالتعاون مع العلماء، وهؤلاء هم فقط من القادرين على فهم حقيقة المجتمعات الخارجية والقوى الكبرى.

وهى ثالثا تتناول جميع المشاكل الدولية بقدر واحد من الأهمية، وليست قادرة على أن تفهم أن هذه المشاكل تتنوع من حيث أهميتها، وهى فى هذا التنوع إنما تنبع من منطق خاص بها، وخاص بالقدرات الدولية.

التطور المعاصر للإطار الدولى بدأ منذ أكثر من عشر سنوات. وقد لفتنا النظر إلى المتغيرات المرتبطة بذلك التطور، منذ أن دُعينا للمشاركة فى وضع خطة لإعادة بناء القوات المسلحة المصرية، ولايزال الرئيس السادات فى أوج قوته. ورغم رفضنا لسياسة الرئيس السادات المتعلقة «بكامب ديفيد»، فقد قَبِلنا ذلك التعاون، ولكن كان علينا أن نُدرك أن النية الحقيقية لم تكن إلا الاستسلام ونُشر تقريرنا الخاص بالبعد الدولى لإعادة بناء القوات المسلحة فى مصر بدمشق منذ عام 1982. (دار الجليل بعنوان: الأوضاع الدولية والتطور المعاصر للدور الإقليمى للمنطقة العربية).

ومع ذلك لم يشعر به أحد واليوم نعيش أول مظاهر ذلك التطور.

* العالم المعاصر يعيش أزمة دولية عنيفة، سوف تقود إلى إعادة تشكيل الإطار الدولى

فى القريب العاجل، وفى مدى لن يتجاوز خمسة عشر عاما. ما يعنينا أن نُذكّر به منذ البداية، أن هذا التطور فى صالح إسرائيل، ولم توجد فى كل تاريخها - تل أبيب - فى وضع أكثر تجانساً مع مصالحها، كما سوف تجد نفسها خلال الأعوام القادمة. لقد بدأ هذا التطور، وثماره سوف تكون ناضجة فى خلال عدة أعوام. وعلى القيادات العربية أن تُسرع، بل وأن تسابق الزمن إذا أرادت تحييد ذلك التطور، على الأقل بمعنى ألا يصير ورقة لا تعمل إلا لصالح إسرائيل، فلنبدأ نحدد ملامح التطور.

عناصر التطور للإطار الدولى:

نستطيع بإيجاز أن نقف أمام خمسة عناصر فى هذا التطور العام للإطار الدولى:

العنصر الأول: وهو اتجاه الولايات المتحدة للبحث عن أصدقاء جدد بما يعنيه ذلك من تفتت للمعسكر الغربى.

العنصر الثانى: انكفاء الاتحاد السوفيتى على مشاكله الداخلية واتجاهه لنوع من العزلة فى النطاق الدولى.

العنصر الثالث: التصميم الأوروبى على تعميق سياسة الوحدة، والتوسع فى مفهوم وإطار الوحدة لتشمل أكثر أجزاء أوروبا التاريخية.

العنصر الرابع: بناء حائط حقيقى يفصل العالم الأبيض الغنى عن العالم الملون الفقير.

العنصر الخامس: خروج دول أمريكا اللاتينية من جانب، ودول جنوب شرق آسيا من جانب آخر من كتلة عدم الانحياز.

نتيجة هذه التطورات المختلفة أن الفقر والتخلف الحقيقى سوف يتمركز فى غرب آسيا والقارة الإفريقية، أى فى العالم العربى، وقد أُلحق به العالم الأسود.

فلنحاول تحليل هذه الأبعاد المختلفة قبل أن نرى كيف وسوف تتعامل معها إسرائيل لتحيلها إلى عناصر قوة فقط لصالحها.

التطور المتوقع للعلاقة بين الولايات المتحدة وأصدقائها:

الولايات المتحدة قد بدأت منذ قرابة عشرة أعوام تفقد أصدقاءها، وهى اليوم تكتشف أن صداقاتها لها حدود، وأن لغة المصالح تفرض التعارض. فهى قد فقدت - أو فى سبيلها لأن تفقد - صداقتها مع اليابان، التى ارتفع صوتها لتتحدث عن مجالها الحيوى فى جنوب شرق آسيا. وهى قد فقدت أيضاً مصداقيتها فى دول السوق المشتركة، ويوم تتحد دول غرب أوروبا، وهو أمر لم تعد تبعدنا عنه سوى عدة أعوام، سوف تكتشف فى تلك الدول

إرادة استقلال لم تعهدها. ودول أمريكا اللاتينية القوية تستعد لطرد واشنطن من أسواق أمريكا اللاتينية.

وإذا كانت الولايات المتحدة تنظر إلى كندا فى الشمال، والمكسيك فى الجنوب على أنها سوف تصير أدوات للتقوية، فهى تعلم أنها لابد وأن تغير من سياستها، وألا تنظر إلى العالم نظرة السيادة الإمبريالية، التى عاشتها منذ الحرب العالمية الثانية حتى اليوم، فى هذا الإطار تصير إسرائيل صديقاً جوهرياً وأساسياً فى تعاملات واشنطن مع العالم الخارجى.

مشكلة القوميات ... ومستقبل الاتحاد السوفيتى:

كذلك فإن الاتحاد السوفيتى سوف يعيش مأساة أخرى، وهى مأساة القوميات. فالاتحاد السوفيتى هو فى حقيقته دولة آسيوية، ورغم أن القيادة الأوروبية والمفاهيم الأوروبية هى التى تسوده. الدولة الروسية التى بدأت فى توسعها منذ قرابة قرنين لم تدرك أنها تسير ضد التاريخ. وجاء ت الإمبراطورية السوفيتية، ورغم ادعائها باليسارية فلم تفعل سوى أن سارت فى نفس التوجه الإمبريالى. وكان لابد من لحظة معينة أن ينفجر ذلك الواقع. الانفجار بدأ أثناء الحرب العالمية الثانية، وحدثت محاكمات انتهت بأحكام بالإعدام، وغُطى عليها بستار من التجهيل، **ولكننا اليوم نعلم أن حركات المقاومة فى كثير من أجزاء روسيا كانت لاتزال قائمة على قدم وساق. حركة المقاومة الإسلامية على أشدها فى الجنوب، وحيث يتحدث البعض عن حركة إخوان مسلمين لها فاعليتها. ثم حركة المقاومة الصفراء على حدود الصين الشمالية فى منطقة منغوليا، وذلك إلى جانب الا ضطرابات العنيفة فى دول البلطيق، وبين الأقليات البولندية والألمانية دون الحديث عن عصر الإحياء اليهودى فى الاتحاد السوفيتى ليست جميعها سوى مظاهر لحالة تخلخل بدأت ملامحها تبدو وا ضحة للعيان فى الجسد الروسى.** هذا التطور الذى ارتبط به تخلخل آخر فى الأجزاء المدنية من المجتمع السوفيتى، لابد وأن يؤدى إلى انكفاء القيادة الروسية على مشاكلها الداخلية. ولنتذكر أن هذا التطور بدأ مع خروشوف، وليس وليد الأمس القريب. وهو سوف يفرض على الاتحاد السوفيتى نتيجة ذات أبعاد ثلاثة:

الأول: عدم الاهتمام أو الانغماس فى المشاكل الدولية والخارجية إلا بحذر.

الثانى: الاهتمام بتحييد وتطويع علاقاته بالقوى المجاورة،وبصفة خاصة تلك ذات القوة الفاعلية. وسوف يتضح ذلك بصفة خاصة فى **حدوده سواء الجنوبية حيث الورقة الإسلامية فى إيران، وحولها لابد وأن تفرض عليه القلق**..ثم حدوده الشمالية حيث منغوليا الخارجية

تحن إلى العودة إلى الدولة الأم وهى الصين.

الثالث: التوجه نحو مزيد من الحريات فى الداخل، بما فى ذلك حق الهجرة وهو الأمر الذى سوف يفتح الباب واسعاً لتعامل من نوع جديد مع إسرائيل.

عدم الانغماس الأوروبى فى مشكلة الشرق الأوسط:

المتغير الثالث ويرتبط بالتطور الوحدوى فى القارة الأوروبية.

سلّم القيم السياسية فى القارة العجوز قد تغير، بل وقد أُعيد تشكيله فى قمة هذا الهرم يسود مبدأ الوحدة السياسية. لم يعد شعاراً تُردده الصحف أو الإذاعات من آن لآخر؛ بل أضحى القيمة العليا الأولى والثابتة. وهى وحدة بثلاثة مستويات كل منها تقود إلى الأخرى:

أولاً: فهناك الوحدة السياسية لدول السوق المشتركة.

ثانياً: وهناك الوحدة بين ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية.

ثالثاً: وهناك الوحدة بين أوروبا السوق المشتركة، وأوروبا حلف وارسو.

لا نريد أن نطيل فى هذه الناحية، ولكن يكفى أن نتذكر أن من عمالقة التحليل السياسى من يتصور أن هذه الوحدة سوف تقود إلى استيعاب روسيا الأوروبية لتحقق آمال «ديجول» الراحل.

لانريد أن نعيش فى الخيالات، ولكن الأمر الذى لاشك فيه أن أوروبا ولفترة غير قصيرة لن يسيطر على مدركاتها سوى أمل الوحدة. **وبغض النظر عن حدود هذه الوحدة فإن هذا التطور يعنى مجموعة من النتائج:**

النتيجة الأولى: أن قطب الجذب لدول السوق المشتركة - ولفترة معينة - لن يكون سوى القارة الأوروبية، لن يعنيها بعبارة أخرى البحر المتوسط إلا فى مرتبة ثانوية، ومن المعلوم أن أقطاباً ثلاثة تعودت جذب السوق المشتركة. الأطلنطى فى الغرب، أو البحر المتوسط فى الجنوب، أو أوروبا الشيوعية فى الشرق. **خلال العقد القادم لن يجذب دول السوق المشتركة سوى حلف وارسو.**

النتيجة الثانية: أن دول أوروبا الغربية سوف تزداد فى تدعيم سياستها بعدم الانغماس فى مشاكل الشرق الأوسط. لايجوز أن تخدعنا المظاهر فهى ليست سوى لغة دعائية. الذى يعنى أوروبا الجديدة هو فقط منطقة المغرب العربى التى سوف تصبح حديقة خلفية لأوروبا الجديدة.

النتيجة الثالثة: وهذا يعنى أنه فى لحظة معينة يُترك لإسرائيل أن تلعب فى منطقة

الشرق الأوسط، بل وبصفة عامة فى حوض البحر المتوسط الشرقى، وابتداء من ليبيا حتى سوريا ولن تتدخل أو تتورط فى هذه المنطقة إلا بحساب وحذر.

العالم الملون وموقعه من كتلة عدم الانحياز:

العنصر الرابع: يدور حول علاقة العالم الأبيض بدول العالم غير البيضاء، العالم الأبيض أضحى يؤمن بأن غير هذا العالم ليس له الحق فى الحياة. إنه يتكون من عناصر أقل قدرة على العالم الأبيض، وإذا كانت بعض المجتمعات الملونة قد أثبتت قدرتها على التطور والتقدم فهى استثناء. وشعوب العالم الملون الذى يقع ما بين الدول العربية فى غرب آسيا والدول الإفريقية السوداء، يجب أن تترك لمصيرها أنها محكوم عليها بأن تكرر مأساة الهنود الحمر[1]. ومن ثم يجب إقامة سور عظيم يفصل العالم المتقدم الأبيض الغنى[2] عن هذه المجتمعات الملونة المتخلفة التى أثبتت أنها ليست أهلا للحياة. أرضها سوف تصير فى يوم من الأيام امتداداً للشعوب البيضاء تمرح فيها وتستغل خيراتها، وهنا تبدو إسرائيل كجنوب إفريقيا أدوات حاسمة فى ذلك التطور.

المتغير الخامس والأخير يدور حول مفهوم عدم الانحياز، هذا المفهوم قد انتهى عصره، وعلى كل فإن دول جنوب شرق آسيا اليوم تدور فى فلك الرأسمالية اليابانية. أما عن دول أمريكا اللاتينية فهى تخضع لتطور مماثل، حيث تستعد الدول المسيطرة الكبرى فى تلك القارة لتطرد منها الولايات المتحدة. الذى يجب أن نتذكره، الدلالة الخفية خلف هذا التطور، فمن جانب لقد بدأت تظهر إمبريالية جديدة فى نطاق دول العالم الثالث، هذه وحدها موضع احترام الدول البيضاء. أما ما عدا ذلك من دول ودويلات فإنها لن يُنْظر إليها فى القرن القادم، إلا على أنها دول الضعفاء التى سوف تُتْرك لمصيرها. مفهوم عدم الانحياز أى كتلة قادرة على أن تستقل عن كلا الدولتين الأعظم فى معنى حقيقى، والذى أعرضه «شاه إيران» فى لحظة قوته، سوف يعود ليسيطر على علاقة بعض الدول الملونة وبصفة خاصة التى ليست فى حاجة إلى الدول المتقدمة. ونقصد على وجه الخصوص الصين والهند، ودول جنوب شرق آسيا إلى جانب دول أمريكا اللاتينية، وسوف تسعى إسرائيل لأن تجد لها مكاناً قيادياً فى هذه المجموعة.

الإطار العام للتعامل مع الأسرة الدولية وعزلة إسرائيل:

الذى يعنينا من هذا الإطار العام للتعامل فى الأسرة الدولية والمتوقع فى نهاية هذا القرن، ابتداء من منتصف العقد القادم، هو أن جميع عناصره سوف تكون لصالح

(1) لقد أباد الأوربيون فى أرض العالم الجديد (أمريكا) ستين مليونا من السكان الأصليين الهنود الحمر.

(2) ومن أجل هذا يتم منع الهجرة من العالم الملون إلى أوروبا.

إسرائيل، سوف ينتهى عصر العزلة الإسرائيلية، لنعيش فترة مختلفة من التعامل الدولى:

أ – فهى سوف تزداد صداقة وترابطاً مع الولايات المتحدة.

ب – وهى سوف تعيد فتح أبواب الحوار الحقيقى مع الاتحاد السوفيتى.

جـ – وهى سوف تصير قادرة على ضمان عدم الانغماس الأوروبى فى مشاكل الشرق الأوسط.

د – وهى سوف تزداد قوة فى ترابطها مع جنوب إفريقيا.

هـ – وهى سوف تجد لها شرعية فى مواجهة عملية استئصال أو استغلال شعوب المشرق العربى. كل هذا يفسر خصائص السياسة الإسرائيلية الجديدة والمتوقعة.

مفهوم المساندة الدولية والسياسة الإسرائيلية:

وهذا يقودنا إلى التطور العنيف الذى يسيطر على مفهوم المساندة الدولية والإقليمية. لقد سبق أن رأينا المبادئ الست التى تسود سياسة إسرائيل الخارجية فى مواجهة التطور العربى، وحللنا جميع عناصر هذه المبادئ، عدا العنصرين الأخيرين المرتبطين بعملية المساندة الدولية والإقليمية. محور ذلك، أن هذا التطور العام الذى لصالح إسرائيل، تستطيع تل أبيب أن تستغله أكبر استغلال لصالحها، ولتحقيق أهدافها.

من حيث المساندة الدولية، فهى تستطيع أن تخرج من عزلتها، بل وأن تفرض العزلة على المنطقة العربية وبصفة خاصة:

أولاً: تدفع المغرب العربى بطرق خفية تارة مباشرة وتارة غير مباشرة، لينصهر فى دائرة أوروبا الغربية ليصير حديقتها الخلفية.

ثانياً: تزيد من ارتباطها الاستراتيجى بالولايات المتحدة؛ بحيث تفرض على واشنطن أن تقدم ثمناً لذلك الترابط الاستراتيجى، والذى لن يكون سوى الهيمنة على منطقة الشرق العربى، بما فى ذلك منطقة الخليج.

ثالثاً: تمارس لعبة الإغراء مع الاتحاد السوفيتى، فى مقابل فتح باب الهجرة أمام اليهود السوفييت، الذين يشكلون المستقبل الحقيقى لإسرائيل.

رابعاً: تعميق الخلافات بين الوطن العربى المشرقى من جانب، وإفريقيا السوداء من جانب آخر، لتكمل بهذا عملية الإحاطة والتطويق.

على أن الناحية الأخرى الأكثر وضوحاً هى المرتبطة بدورها بمفهوم المساندة الإقليمية، وهى الجديرة بالاهتمام؛ لأنها سوف تكون حاسمة فى تطور التعامل مع منطقة الشرق

الأوسط. وقد بدأت ملامحها واضحة للعيان منذ حرب الخليج. إسرائيل لم تعد تؤمن بأنها فى عالم تسوده العداوات ضد المجتمع اليهودى. هذه النظرة آن لها أن تتغير. على إسرائيل أن تنطلق فى العالم، لتخلق لنفسها المساندة فى كل مكان، يجب أن تقوى نفسها فى مواجهة خصومها العرب، من خلال التعامل مع كل من له مصلحة، من الممكن أن تتفق مع مصالحها، وهى لذلك لاتترد فى أن تُلقى بشباكها نحو الصين، وسوف نرى ذلك أكثر وضوحاً فيما بعد، وفى موضع آخر، الذى يعنينا أن نتذكره، أنه لم يمنعها من ذلك عدم وجود علاقات دبلوماسية مع بكين، بل والصفعات المتتالية التى تتلقاها من قادة الصين. الذى يعنيها هو النتيجة، كذلك مع الاتحاد السوفيتى. الزعيم الجديد وجو التعايش، والوفاق الجديد، يؤهل ويسهل لنوع جديد من التعامل، وذلك دون الحديث عن جنوب إفريقيا.

هذا التصور الجديد يبرز فى صورة واضحة فى أسلوب التعامل مع دول الجوار الإقليمى.

لقد كان المفهوم السائد فى القيادة الإسرائيلية العمالية هو تطبيق مبدأ شد الأطراف. ومن ثم فقد اعتقدت تلك القيادة أن خير سياسة يجب أن تنبع من خلق روابط وثيقة متجانسة أساسها **التحالف العدائى الضمنى مع العواصم الثلاث: طهران، أنقرة، أديس أبابا، وهو تحالف تسيطر عليه مبادئ ثلاثة:**

المبدأ الأول: علاقات ثنائية بين تل أبيب وكل من هذه العواصم الثلاث.

المبدأ الثانى: خلق التجانس بين المصالح الإسرائيلية والمصالح الأمريكية فى تلك العواصم الثلاث، بحيث إن العلاقات الإسرائيلية تماثلها وتتوازى معها وفى دول الأطراف علاقات أمريكية.

المبدأ الثالث: وهكذا يتم **تكتل ثلاثى** ضد منطقة المشرق العربى:

أ – تل أبيب واشنطن طهران، يسمح بخلق تمركز فى مواجهة منطقة الخليج العربى.

ب – تل أبيب واشنطن أنقرة، يقود إلى تدعيم عنصر جاذب فى شمال منطقة الهلال الخصيب.

جـ – تل أبيب واشنطن أديس أبابا، يحيط بجنوب وادى النيل ويتولى بدوره عملية شد الأطراف.

المتغيرات السابق ذكرها جعلت إسرائيل تعيد النظر فى هذه السياسة وبصفة خاصة

منذ السبعينات وقبل حرب أكتوبر.

خصائص سياسة المساندة الإقليمية الجديدة:

سياسة المساندة الإقليمية الجديدة تهدف إلى تحقيق أهداف أكثر بعداً. وبصفة خاصة هدفين:

الأول: الاستئثار بالتوظيف لصالح الولايات المتحدة من جانب إسرائيل.

الثاني: عدم الاكتفاء بشد الأطراف، وتحويل تلك الممارسات إلى بناء إطار يعزل العالم العربي عن عمقه، ودائرته الإسلامية وغير العربية.

ابتدأ ذلك التطور منذ بدأت تبرز أيٍ من الدول الثلاث، وبصفة خاصة إيران كبديل أو مساند لإسرائيل، في علاقة الولايات المتحدة بتل أبيب. أيٍ من الدول الثلاث تملك وضعاً استراتيجياً متفوقاً لو قورن بإسرائيل، فإيران تتحكم في الخليج فضلاً عن أنها تمتد لأكثر من ألف وخمسمائة كيلو متر جنوب الاتحاد السوفيتي. وتركيا لديها المضايق، فضلاً عن أنها المقدمة الحقيقية لحماية القواعد الأمريكية في منطقة الخليج. والحبشة هي صاحبة الكلمة الأولى فبباب المندب، ومن ثم في عملية الاتصال بين البحر الأحمر والمحيط الهندي. كيسنجر من جانب آخر قد بدأ يوسع فكرة الأعمدة المتعددة لمساندة النفوذ الأمريكي، حيث لاتصير إسرائيل هي السند الوحيد، وهكذا برزت فكرة تحويل قبرص إلى قاعدة أمريكية، وأكد ذلك الإدراك ما يمكن أن تقدمه شبه جزيرة سيناء، من إمكانيات استراتيجية، ومنذ ذلك التاريخ بدأت إسرائيل تعيد النظر في استراتيجيتها.

لم يعد أساس استراتيجيتها فقط شد الأطراف، وإنما عزل المنطقة من جانب وشل وظيفة مصر الإقليمية من جانب آخر. كلاهما وجه آخر لعملة واحدة محورها رغبة إسرائيل ليس في الدفاع عن نفسها، وإنما في الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط فقط لصالحها.

أ – فهي تسعى لأن تصير السند الوحيد للولايات المتحدة في المنطقة. وهي لذلك عقب مجيء ليكود إلى السلطة، وبتوافق تام مع فلسفة تسير في هذا الاتجاه بأدلة مادية تناوئ أي قوة إقليمية تنظر إليها واشنطن بعين الرضا. حادثة ضرب المقاومة في تونس، ثم قتل رجلها الثاني أيضاً في تونس، كانت موجهة لواشنطن لتثبت القدرة والفاعلية، بل وهناك معلومات غير مؤكدة عن ضرب الأسطول الجزائري أيضاً من جانب الطيران الإسرائيلي. الولايات المتحدة في استراتيجيتها الجديدة تعتمد أساساً على إسرائيل، كأداة في التعامل، ليس فقط مع المنطقة، بل وانطلاقاً من المنطقة.

ب – وهى لذلك – أى تل أبيب – تعمل بثبات على إضعاف علاقات واشنطن بأى من هذه الدول الثلاث. بدأتها بالحبشة حيث لعبت الورقة اليسارية دورها، ثم أعقبت ذلك بإيران حيث لعبت الورقة الإسلامية أيضاً دوراً مماثلاً. بل إن العملية نفسها فى صورة أقل وضوحاً تمت فى تركيا، وخصوصاً بتشجيع إنتاج القطن الذى سوف يُحيل هذه الدولة إلى منافس له وزنه مع السوق الأمريكية.

جـ – وهى تريد أن تجعل من هذه الدول الثلاث أدوات مساندة لها فى التدخل فى منطقة المشرق العربى، الحبشة فى قرن إفريقيا وبصفة خاصة فى وادى النيل. تركيا فى كل من العراق وسوريا بل إن هناك حزباً تركياً يطالب اليوم علانية بضم بعض أجزاء شمال العراق. وإيران فى منطقةالخليج. إنها تقدم بهذا الشكل لتحركها الاقتصادى وتعد لغزو المنطقة، بل ولما يمكن أن يسمى تقسيم مناطق نفوذ فى هذه المنطقة ولو خلال مرحلة معينة.

د – وهى تسعى لخلق صلة وثيقة بين العواصم الثلاث: طهران وأنقرة وأديس أبابا، وهو ما نسميه تحالف الأعداء، أنه مقدمة لخلق إطار يحيط المنطقة العربية، ويحصر المشرق العربى، بين كماشة ضخمة تمتد من أقصى الشرق إلى الشمال والجنوب. إنه مقدمة لتقسيم الأسلاب من جانب ومنع هذه المنطقة من التواصل مع محيطها الإسلامى الطبيعى من جانب آخر.

هـ – وهى تجعل هذا النفوذ وسيلتها لتقفز إلى ما هو أبعد. فإيران مقدمة للقفز إلى أفغانستان وبصفةخاصة الباكستان، حيث تُحدّثنا آخر الأخبار عن تعاون خفى نووى بدأت ملامحه بين دولة القنبلة الإسلامية وإسرائيل، وأديس أبابا مقدمة للقفز إلى المحيط الجنوبى، وبصفةخاصة زائير من جانب، وأوغندا من جانب آخر، حيث تستطيع أن تشل وتحاصر مصر فى إفريقيا.

و – وهى تُعد أيضاً لما بعد عصر توزيع الأسلاب، عندما يقدر لها أن تنجح فى تصفية الوجود العربى، بأن تحيله إلى كيانات هشة بمعونة هذه الدول الثلاث فتتجه إلى تلك الدول بدورها تمارس فى داخلها نفس اللعبة التى مارستها فى الأرض العربية. ولكن هذا لايزال فى طى الخفاء، وإن كانت بعض ملامحه بدأت تعبر عن نفسها محاولة الشيعة للثورة فى تركيا بمساعدات إسرائيلية، دفع بعض القوى فى إيران لرفض الاستمرار فى التعنت ضد العراق، تشجيع الأكراد سواء فى تركيا أو إيران، كذلك تشجيع حركات انفصالية فى الحبشة: جميعها حوادث تُنْسب إلى أجهزة مخابرات إسرائيلية دون دليل قاطع، ولكنها لو

صحت فهى تُعد لما بعد عصر التفتت للمشرق العربى.

شل دور مصر الإقليمى وجوهر السياسة الإسرائيلية:

المتغير الأساسى والحقيقى فى كل هذا الإدراك، هو تفريغ المنطقة الممتدة من حوض وادى النيل حتى باكستان، من أى قوة قادرة على أن تنازع تل أبيب الهيمنة والسيادة. شل دور مصر الإقليمى بكل ما تعنيه هذه الكلمة هو المقدمة. ومن ثم فإلى جانب تفريغها من عناصر القوة وعزلها عن محيطها العربى والإسلامى؛ بحيث يصير حصارها فى كل موضع تعودت أن تمارس فى إطاره أى وظيفة قيادية يصير منطلقاً طبيعياً لأعمال عملية التخريب. وإذا كانت سياسة «مناحيم بيجن» لم تستطع تطويع الإدارة المصرية من الداخل، وتطبيع علاقاته مع وادى النيل، فإن سياسة خلفائه التى أساسها هو العمل على شل القدرة والفاعلية المصرية بأى معنى من معانيها هو منطلق آخر لتحقيق نفس الهدف.

وهنا يتقدم التطور العام للإطار الدولى ليساند إسرائيل فى هذه السياسة، فهل سوف نقف عاجزين إزاء مثل ذلك التطور بشقيه؟ دولى ضد مصالحنا، وإسرائيلى للقضاء على وجودنا؟

سؤال يجب أن نتصدى للإجابة عليه.

المبحث الثانى

السلاح الصاروخى .. واختلال موازين القوى

تحت هذا العنوان كتب حامد ربيع:

«العامل الاستراتيجى رغم صعوبته ودقته، ورغم حاجته إلى نوع من الفن والحساسية التى لا يستطيع العلم أن يصوغها، إلا أن قواعده واضحة وصريحة، نستطيع أن نصوغ تلك القواعد فى ثلاثة:

الأولى: المعرفة بالعدو.

الثانية: التجانس فى مراتب التعامل.

الثالثة: التخطيط المسبق وبالدقة الكافية فى كل عناصر الموقف، أحد أسباب النجاح الإسرائيلى هو احترام هذه القواعد.

القاعدة الأولى: والتى تعنى المعرفة بالعدو، ليست بالجديدة: منذ أقدم العصور، نجد الاستراتيجى أو القائد العسكرى، يبث جواسيسه بين خصومه، يجمع عنهم المعلومات الدقيقة والكافية.

من القصص التى تروى بهذا الخصوص: أن فرنسا عندما فكرت فى غزو مصر أرسلت أحد رجالها الذى قضى فى وادى النيل أكثر من ثلاثة أعوام، ليجمع كل ما يستطيع أن يسجله عن البلاد (*) وعن أهلها، جُمِعَت عقب ذلك فى مؤلف ضخم لايزال موجوداً فى المكتبة الوطنية بباريس، يتكون من ثلاثة مجلدات، كذلك فإن نابليون كان يقضى أياماً كاملة قبل أى معركة فى دراسة شخصية القائد الذى سوف يتعين عليه أن ينازله.

هذه العملية - أى عملية جمع المعلومات - أضحت اليوم أكثر سهولة من جانب، وأكثر صعوبة من جانب آخر، سهولتها فى أن المعلومات المنشورة والمتداولة كافية ولو فى نطاق

(*) كتاب «قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية - الكتاب الرابع - الاستعمار والصهيونية وجمع المعلومات عن مصر. د. حامد عبد الله ربيع.

معين للمعرفة بالعدو، ولكنها أكثر صعوبة بسبب ضخامة الكم من المعلومات المتوفرة. الأمر الذى يجعل الحاجة إلى تنظيمها وتنسيقها أمرا شاقا ومرهقا، أضف إلى ذلك أن هناك قسطا من المعلومات فى حاجة إلى أدوات من نوع معين، ليس من السهل توفرها وبصفة خاصة فى البلاد المتخلفة، نقصد بذلك ما يسمى بالمبررات من جانب والمعلومات الأمنية من جانب آخر. **الملاحظة العامة على إسرائيل أن أجهزتها المعلوماتية تعتبر نموذجا متقدما** جديراً بأن تحتذى به نفس الدول الكبرى والمتقدمة؛ هى قد وصلت إلى ذلك بفضل عناصر ثلاثة:

الأول: اهتمامها بالأجهزة المتقدمة **لجمع وحفظ واسترجاع المعلومات**، منذ بدء وجودها منتفعة فى هذا بتقاليد الحركة الصهيونية.

الثانى: امتلاكها لسلاح مخابرات متقدمة، منتفعة فى هذا أيضا بوجود يهود مواطنين منتشرين فى جميع أنحاء العالم، وهم قادرون على أن يؤدوا بهذا الخصوص خدمات لايستهان بها، بحيث يمكن القول دون مبالغة **أنها تمتلك طابورا خامسا فى كل دول العالم، وأغلبها وبصفة خاصة فى دول العالم العربى، ورغم أن عدد اليهود فى الدول العربية قد قل كثيرا عما كان الأمر عليه من قبل، إلا أن هذا العدد القليل كاف لأن يؤدى وظيفة خطيرة فى موضوع جمع المعلومات.**

الثالث: التعاون الوثيق بين الأجهزة الإسرائيلية وبعض أجهزة العالم المتقدم، وبصفة خاصة وكالة المخابرات الأمريكية، وتلك التابعة لحلف الأطلنطى، وهو تعاون يمكنها من الحصول على معلومات دقيقة لاتتوافر لها، كما أنه يمكنها من التنسيق الحركى مع تلك الأجهزة، بحيث يمكن القول بأن كل ما تحصل عليه تلك الأجهزة من معلومات هى تحت تصرف تل أبيب.

القاعدة الثانية: واضحة وليست فى حاجة إلى تفصيل.

القاعدة الثالثة: تنقلنا إلى صميم العمل العسكرى، سبق وتعرضنا لذلك بخصوص مراتب التحرك الاستراتيجى، لا نريد أن نعيد ما سبق وذكرناه، ولا نريد أن نخرج عن موضوعنا فى أضيق نطاق، وبصفة خاصة فى علاقة الاستراتيجيات الثلاث المتتابعة، لابد من بعض الإيضاح، سبق وذكرنا أن **أى استراتيجية تملك ثلاثة مستويات:**

الأول: المستوى الذى يُسمى عادة بالاستراتيجية العليا، حيث تتبلور أهداف السياسة القومية التى يجب أن تسيطر على توجه المجتمع الداخلى والخارجى، ولو فى فترة معينة، وحيث تتحدد تلك الأهداف بوضوح، وترتيب تصاعدى واضح، ثم تُعقَب هذه الاستراتيجية العليا تلك العسكرية التى هى فى جوهرها صياغة عسكرية للاستراتيجية العليا، أى هى

بعبارة أخرى كيف تستطيع الأداء العسكرى، أى أداة العنف المنظم، أن تحقق تلك الأهداف من خلال القتال، وهكذا هذه الاستراتيجية هى التى تُحدد متى يجب أو يتعين علينا أن نقاتل.

الاستراتيجية القتالية تأتى فى مرتبة ثالثة، لتجيب على السؤال الجوهرى: كيف يجب أن نقاتل؟ السلاح الأمثل، الموقع الأصلح، الأسلوب الأكثر فاعلية، بل ويدخل أيضا فى هذا النطاق عملية اختيار القائد الأكثر استعداد للتعامل مع مجموعة هذه التساؤلات، هكذا نجد أنفسنا أمام ثلاثة استراتيجيات متتالية:

استراتيجية عليا، استراتيجية عسكرية، استراتيجية قتالية، ما يجب أن نتذكره أن هذه الاستراتيجيات الثلاث يجب أن تملك تناسقاً كاملاً، وأن علاقة التناسق يجب أن تكون مطلقة لاتحتمل أى نوع من أنواع التناقض أو التعارض.

هذا هو أحد عناصر قوة إسرائيل، وهو عنصر ثابت فى جميع مراحل التاريخ اليهودى مع مشكلة الشرق الأوسط، ومنذ وجود الدولة اليهودية، وسوف نتلمس مظهرا آخر من مظاهر ذلك الترابط فى التعامل القتالى، وتوظيف مختلف الأسلحة التى تمتلئ بها الترسانة الإسرائيلية. لقد توقفنا أمام الاستراتيجية القتالية فى موضعين: السلاح النووى من جانب، والسلاح الكيميائى والجرثومى من جانب آخر، وليكتمل ذلك علينا أن نطرح السلاح الصاروخى وموضعه، من حيث التوظيف فى الفكر العسكرى الإسرائيلى.

ولنحدد عناصر ذلك الإدراك:

أولاً: السلاح الكيميائى والجرثومى. هو رأس الحربة أو المحور الأساسى فى التعامل مع منطقة الشرق الأوسط.

ثانياً: السلاح النووى هو أداة إسرائيل الإقليمية، تقوم على فكرة العزل والتطويق فكذلك نجد أن سياستها العسكرية تنبع من نفس المبدأ، وسوف تستخدم السلاح النووى أداتها فى ذلك.

ثالثاً: أمّا السلاح الصاروخى: فهو قوتها فى تحطيم القدرة الهجومية لدى الدول العربية. كيف ذلك؟ هذا هو السؤال الذى يجب أن نحاول الإجابة عليه.

القدرة النووية الإسرائيلية:

قبل أن نواصل هذا التحليل، يجب أن نحدد بصورة دقيقة، القدرة النووية الإسرائيلية وخصائصها، المتغيرات التى تتحكم فى نوعية وخصائص السلاح النووى الإسرائيلى ثلاثة:

أولاً: سيطرة القنابل الصغيرة، أى القنابل النووية التكتيكية، وقد سبق وذكرنا خصائصها، وكيف أنها قَلَبَت رأساً على عقب جميع خصائص التعامل الاستراتيجى مع المنطقة لماذا؟ ولماذا لن تتعامل إسرائيل مع المنطقة من خلال القنابل الكبيرة أو المتوسطة الحجم؟

1 – توزيع الأهداف فى منطقة الشرق الأوسط التى سوف تكون مسرحا للعمليات ومن ثم، فامتلاكها لعدد كبير من القنابل الصغيرة سوف تُمكّن تل أبيب من إصابة العديد من الأهداف على تلك الرقعة الممتدة من العراق حتى ليبيا.

2 – كذلك فإن قذف القنابل أكثر سهولة بل وهو أكثر دقة.

3 – وهى أقل تكلفة، حيث إن نفقات قنبلة متوسطة، تساوى نفقات ثلاث إلى أربع قنابل صغيرة.

4 – وذلك إلى جانب أن القنابل الصغيرة ليست فى حاجة إلى إجراءات تفجير، وهو أمر يجعل إسرائيل تملك استقلالا معينا حتى فى تعاملها مع جنوب إفريقيا.

5 – وأخيرا فإنها – هذه القنابل – محدودة القدرة، من حيث الإشعاع وبصفة خاصة لو أُطلقت من ارتفاعات عالية، وهو ما يجعل إسرائيل مطمئنة ولو نسبياً بحيث أن هدفها الأساسى يتحقق دون أن تخضع لمخاطر غير محسوبة.

ثانياً: أما عن عدد القنابل الصغيرة التى تملكها إسرائيل حالياً، فإنه طبقا للتقارير المتداولة وبصفة خاصة عقب تسريب المعلومات من جانب الخبير الإسرائيلى «فانونو» والتى أخضعت لتحليل عميق من جانب المتخصصين، وكذلك بناء على تقارير وكالة المخابرات الأمريكية فإن إسرائيل تملك حتى عام 1986 ما بين مائة قنبلة إلى مائتين من الحجم الصغير، الذى لايتجاوز وزنه 2.5 كيلو جرام، وقد لا يتعدي فقط 2 كيلو جرام، وإن إسرائيل قادرة منذ ذلك التاريخ على إنتاج من قنبلتين إلى ثلاث سنويا.

ثالثاً: هذه القنابل مفككة وهى بحاجة إلى تركيب، عمليةالتركيب هذه فى حاجةإلى 72 ساعة، هذا التصور يستند إلى المعلومات التى توفرت لدينا عن موقف إسرائيل أثناء حرب الأيام الستة، ولكنه لايوجد ما يمنع من أنه عقب ذلك تم تركيب بعض هذه القنابل بحيث تصير صالحة للاستخدام النووى، وبصفة خاصة عقب ضرب المفاعل النووى فى بغداد.

رابعاً: هذه القنابل مُخزّنة فى أقبية تحت الأرض، فى موقع قريب من مفاعل ديمونا أو تحت نفس المفاعل. والواقع أن هذا خير موقع لتخزينها؛ سواء لأن صحراء النقب أفضل مكان فى إسرائيل، بعيد عن أعدائها، سواء لأن هذه الصحراء مكان غير مسكون، ومن ثم تصير مكانا مثاليا لتخزين الأسلحة النووية، بحيث أن الخسائر لو حدث انفجار تكون

محدودة، وسواء لأن التدابير الأمنية فى ذلك المكان أكثر سهولة وأكثر فاعلية.

السلاح الصاروخى وموازين القوى فى منطقة الشرق الأوسط:

السلاح النووى يطرح من أوسع أبوابه السلاح الصاروخى. والواقع أن حرب لبنان التى لا نزال نعيش أحداثها، وقبل ذلك حرب الخليج، أفرزت الكثير من المعطيات الجديدة وبصفة خاصة بالنسبة للقدرات العربية الصاروخية، التى لابد وأن يدخلها، وأن يستوعب دلالاتها الفكر العسكرى الإسرائيلى، ورغم أن إسرائيل هى التى كانت أول من أدخل السلاح الصاروخى فى المنطقة، إلا أن تتابع الأحداث خلال الفترة الأخيرة سواء أثناء الجولات التى شاهدناها فى حرب المدن بين إيران والعراق، وسواء المتعلقة بالعلاقات المصرية الأمريكية، وما ارتبط بذلك من اتهامات ومحاكمات قاد المنطقة إلى وضع جديد يستحيل تصور أبعاده المختلفة، وبصفة عامة من حيث التوازن الفعلى بين الطرفين المتصارعين إسرائيل من جانب، والجانب العربى من جانب آخر.

تحليل السلاح الصاروخى فى المنطقة، يقود إلى نتائج معينة نطرحها منذ البداية ونحاول التعامل الفكرى معها، كما يتصور الإدراك الإسرائيلى:

أولاً: إن السلاح الصاروخى يعكس حاليا وفى المستقبل حالة عدم التوازن فى المنطقة لصالح الجانب العربى.

ثانياً: إن إعادة التوازن تفترض تطويرسلاح إسرائيلى مضاد للصواريخ العربية.

ثالثاً: وأنه لمواجهة هذا الواقع، يجب أن تكون المعركة الإسرائيلية القادمة (*) وقد اتصفت بعنصرى **المباغتة من جانب، وبالعنف إلى أقصى** حدوده من جانب آخر.

فلنقتصر مؤقتا على تحليل العنصر الأول.

القدرة الصاروخية واختلال موازين القوى فى منطقة الشرق الأوسط:

جميع الخبراء العسكريين يجمعون على أن الحرب القادمة بين إسرائيل والعالم العربى سوف يتحكم فيها السلاح الصاروخى، ورغم أن حرب الخليج لم تنته بعد، لأن إيقاف إطلاق النار لايعنى انتهاء الحرب، فضلاً عن أن جميع المعلومات المتوفرة تؤكد أن إيران لم تستسلم حقيقة، وهى تحيل أرضها إلى ترسانة مسلحة، وتواجهها العراق بالمثل إلا أن النتائج التى أفرزتها تلك الحرب، وما سبقها وما صحبها من أحداث، وبصفة خاصة خلال العام الأخير من القتال، يسمح برسم صورة واضحة للواقع الذى تشهده المنطقة، والذى قد

(*) «قراءة فى فكر علماء الاستراتيجية»: الجولة العربية الإسرائيلية السادسة لواء أ.ح.د. فوزى محمد طايل. ضمن سلسلة نحو وعى سياسى واستراتيجى وتاريخى – الكتاب الأول. إعداد د. جمال عبد الهادى مسعود. الشيخ عبد الراضى أمين.

تشهده خلال الأعوام القادمة ولنحدد العناصر:

أولاً: فالعراق عاش فترة من التردى النفسى الى أن بلغ بأهل بغداد فى لحظة معينة إلى الإحباط، الذى عاشه كل من عاصر الفترة التى انهالت فيه على العاصمة العراقية الصواريخ، ورغم قلة عدد الضحايا والخسائر الحقيقية، وكان مرد ذلك الضرب المتواصل بالصواريخ الإيرانية.

ثانياً: إن الآية لم تنقلب وفجأة إلا بسبب سلاحين: أولهما: الصواريخ العراقية التى لم تترك بقعة فى إيران دون أن تنالها، والتى أحالت طهران طبقا لما أوردته الصحافة المحايدة إلى مدينة أشباح، **والسلاح الكيميائى** الذى سمح للعراق بأن تواجه الكم الإيرانى فى ساحة القتال.

ثالثاً: إن قبول إيقاف إطلاق النار لم يكن بسبب القوة الحقيقية للجيش العراقى بمعناه المهنى، ولكن نتيجة للاستخدام الجيد والمفاجىء لهذين السلاحين: الصواريخ من جانب، والكيميائى من جانب آخر، وما أحدثه كلاهما من آثار نفسية مخيفة كان لابد وأن تنتج بدورها آثارها العنيفة على رجل الشارع، وعلى المقاتل فى آن واحد، وبصفة عامة على إرادة الصراع.

رابعاً: إن أحد أخطاء القيادة العراقية أنها لم تستغل ذلك، سواء لاختراق إيران وتغيير نظام الحكم، أو للاستيلاء على (عبدان) وجعلها ورقة أساسية فى الضغط على القيادة الإيرانية للإنهاء الحقيقى للقتال.

السلاح الصاروخى قلب رأسا على عقب موازين القوى بين العراق وإيران، وهذا ما يعترف به كل من تابع قصة حرب الخليج، كذلك فإن خبرة سلاح الصواريخ فى لبنان، تملك مذاقها الذى لانزال نعيش نتائجه، وإذا كانت بعض القوى اللبنانية تقف تتحدى الجيش السورى، فإن السبب الحقيقى يعود إلى هذه القدرة الصاروخية، رغم محدودية القدرة اللبنانية، فى مواجهة الفاعلية السورية، بل إن البعض يتحدث عن خطورة هذه القدرة فى التعامل مع إسرائيل، قد يكون هذا مبالغة لتبرير شرعية المؤازرة للعناصر المارونية، ولكن الأمر الذى لاشك فيه، أن عنصر المواجهة مع دمشق يتحكم فيه بصورة قاطعة هذا المتغير، فهل كان ذلك سببا للموقف الإسرائيلى من إعلانها عدم الاستعداد لأى تورط فى الصدام بين دمشق وبيروت غير المسلمة؟ وهل سوف تترك إسرائيل هذا الدرس بدوره دون تحليل لنتائجه.

السلاح الصاروخى والإمكانيات العربية:

قبل أن نحاول التحديد الكمى للسلاح الصاروخى فى الجانب العربى، يجب أن نلاحظ

منذ البداية كيف أن العالم الصناعى المتقدم، والذى يملك القدرة الحقيقية على إنتاج الصواريخ، يقف من الطرفين المتنازعين أى إسرائيل من جانب، والعالم العربى من جانب آخر - موقفا غير محايد؟ ورغم أن إسرائيل هى أول من أدخل سلاح الصواريخ فى المنطقة، تجد **أن الدول الصناعية السبع دون استثناء اليابان تقف من إسرائيل ليس موقف المحايد؛ بل موقف المشجع على عملية التوسع والتقدم فى إنتاج واستخدام السلاح الصاروخى فى مواجهة الموقف الرافض للدول العربية.**

هذه الدول السبع سواء علانية أو بطريق غير مباشر، تقيم جميع العقبات والعراقيل ضد الدول العربية فى امتلاك السلاح الصاروخى، سواء عن طريق الشراء أو الإنتاج الذاتى. وقد وصل الأمر إلى اتفاق جنتلمان فى عدم تقديم لأى دولة عربية أى مساعدة تكنولوجية، أو فنية مرتبطة بإنتاج الصواريخ بين الدول الصناعية السبع، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك هو اتجاه الدول العربية للاتحاد السوفيتى من جانب، ولبعض الدول المتخلفة حيث إن هذه الصناعة وصلت مستوى معيناً من التقدم، وهذا يعنى أن العالم العربى في وضع غير مثالى بالنسبة لنوعية السلاح، فما يملكه أقل من حيث المستوى من مثيله الذى تحت تصرف العسكرية الإسرائيلية.

الملاحظة الثانية: والمرتبطة بتلك الأولى، تدور حول انتشار سلاح الصواريخ فى منطقة الشرق الأوسط، لقد أضحى من المعلوم أن هذه المنطقة يوجد بها عدد مخيف من الصواريخ، بل وبعضها على درجة عالية من التقدم. ورغم أنه لايمكن تحديد عدد هذه الصواريخ بدقة إلا أنه من المسلم به أنه توجد فى البلاد العربية المحيطة بإسرائيل بما فى ذلك ليبيا وحدها حوالى (ثلاثة آلاف صاروخ) وأن هذه الدول: مصر والعراق والكويت والسعودية وسوريا ثم ليبيا تملك حوالى (300 منصة إطلاق صواريخ) هذه الصواريخ يمكن تصنيفها بالشكل التالى:

أولاً: الصواريخ غير الموجهة، والتى يتراوح مداها بين 40 ، 70 كيلو متر وتعرف بفروع 7، هذه الصواريخ سوفيتية الصنع، وتوجد فى كل من العراق ومصر والكويت وسوريا واليمن الجنوبى وليبيا. كذلك فإن البرازيل زودت بعض دول المنطقة بصواريخ مماثلة (استروس 2) وهى من نفس النوع، ولكنها لاتتجاوز من حيث المدي (40 كيلو متراً) خطورة هذه الصواريخ بصفة خاصة، تبدو لو استخدمت من الأردن حيث تصير قاتلة.

ثانياً: ثم هناك صواريخ البعيدة المدى التى تحمل أجهزة توجيه، أهم هذه الصواريخ المتوفرة فى المنطقة، الصاروخ السوفيتى المعروف باسم (21 اس اس) والتى تم تزويد سوريا به، فى حدود (مائة صاروخ)، كذلك الصاروخ الصينى (D.T.3) والذى يتفوق على الصاروخ الروسى من حيث مداه، حيث يصل الصاروخ الصينى إلى (ألفى كيلو متر) بينما

يصل الصاروخ الروسى إلى فقط (300 كيلو متراً) ولكنه لايتفوق عليه من حيث دقة التصويب، بل العكس حيث إن الصاروخ الروسى يستطيع أن يصيب الهدف فى إطار (خمسين متراً) بينما الصينى يقع على بعد من (2 كيلو متراً إلى ثلاثة كيلو مترات) من الهدف.

ثالثاً: السباق على التسلح الصاروخى، لايقف عند ذلك الحد، فقد ذكرت مجلة نيوزويك فى عددها بتاريخ 1988/6/21 أن سوريا طلبت من الصين تزويدها بصواريخ (أم – 9) التى يتراوح مداها ما بين (600 إلى 800 كيلو متراً)، ورغم النفى القاطع من الجانبين فإن الذى نعلمه على وجه اليقين أن السعودية قد وصلتها فعلاً. من بكين صواريخ (ريح الشرق: د ى ت – 3)، والتى تستطيع أن تصيب أى بقعة فى إسرائيل.

رابعاً: على أن أخطر ما يعنيه السلاح الصاروخى، هو البرامج التطويرية الضخمة التى تعرفها جميع البلاد العربية تقريبا، بخصوص امتلاك القدرة الصاروخية المحلية والقادرة على الإنتاج الذاتى للصاروخ، ولو بمساعدة بعض دول العالم الثالث، فمصر تساهم فى ثلاثة برامج منفصلة، أحدها بالاشتراك مع الأرجنتين لتطوير صاروخ مداه (900 كيلو متراً) وهى كذلك بالاشتراك أيضاً مع الأرجنتين والعراق، تعمل على تطوير صارخ (كوندور – 2) الذى يبلغ مداه 800 كيلو متراً. والعراق يملك برنامجين أديا إلى إنتاج صاروخ الحسين بكفاءة (650 كيلو متراً) ثم العباس والذى وصل (900 كيلو متراً) والحديث عن تعاون مكثف بين العراق ومصر والبرازيل، بل وكذلك الأرجنتين بهذا الخصوص، تتداوله جميع مصادر المعلومات، ليبيا بدورها تملك برنامجاً آخر لتطوير صاروخ صغير بالتعاون مع الأجهزة الفنية فى ألمانيا الغربية، بل والحديث عن برنامج مصرى مستقل لتطوير صواريخ متوسطة المدى، كان سببا فى كشف بعض مراكز التجسس لصالح القاهرة فى واشنطن، انتهت بالتخلص من وزير الدفاع المصرى أمر تلوكه الألسنة.

مخاطر التسلح الصاروخى العربى وإسرائيل:

التسلح العربى (الصاروخ) هو أحد المتغيرات الأساسية التى تدخلها العسكرية الإسرائيلية فى اعتبارها، ومن ثم فى بنائها لخطتها فى التعامل مع المنطقة، بل وهى تثير حولها ضجة لاتقل عن تلك المفتعلة بخصوص كلا السلاحين الكيميائى والجرثومى. لماذا هذه الضجة؟ التى فى بعض الأحيان تكاد تكون مفتعلة؟ ولماذا هذا الجهد الدبلوماسى المكثف بحيث تفرض بأسلوب أو بآخر على جميع الدول الصناعية الامتناع عن تقديم أى مساعدات بهذا الشأن، بينما إسرائيل نفسها قد استطاعت أن تبنى لنفسها ترسانة صاروخية، سواء من خلال الإنتاج المكثف، أو باسم اتفاقية التعاون الاستراتيجى، حيث

الترسانة الأمريكية قد جعلت من أرضها مخزنا ضخما لذلك السلاح.

الأسباب عديدة ويكفى أن نذكرها بإيجاز:

أولاً: إنه سلاح سهل التصنيع نسبياً، فهو لايفترض تلك المشاكل التى تفرضها القنبلة النووية، وهو كذلك إن لم يكن من السهل تصنيعه، فإن السوق الدولى للسلاح عامر به، ومن ثم فالحصول عليه بغض النظر عن تكلفته لايمثل أى صعوبة، وقد أثبتت ذلك حرب الخليج، جميع أنواع الصواريخ متوفرة، ولمن يستطيع الدفع، وسماسرة السلاح يتولون عملية الوساطة، برنامج ناصر منذ أكثر من عشرين عاماً، والذى كان يهدف إلى تزويد مصر بسلاح صاروخى متقدم، وقد كان قادراً على ذلك. **لم يمنع من تحقيقه إلا سوء اختيار الأشخاص الذين تولوا المسئولية.**

ثانياً: وقد أثبتت دول العالم الثالث أنها قادرة على التصنيع، وتزويد السوق الدولى للسلاح بأكثر من نموذج واحد، هذه الدول هى التى تعيش مأساة المديونية، وهى التى فى حاجة إلى بيع هذا السلاح، وهى لذلك تقدم بسعة صدر وإلحاح على التعاون مع الدول العربية بشأن تسليحها بهذا السلاح، أو التعاون بقصد خلق صناعة محلية قادرة على التصنيع الذاتى. الثابت اليوم أن عملية تصنيع السلاح الصاروخى، دخلت مرحلة متقدمة فى العراق ومصر، وبصفة خاصة بالتعاون مع البرازيل والأرجنتين.

والخطورة الحقيقية هى **بالنسبة للصواريخ القصيرة المدى، وهى التى تحتاجها الحرب القادمة ضد إسرائيل، أن صاروخا مداه (مائة كيلو متر) كاف لو وجد بكثافة معينة أن يحقق جميع الأهداف، من قتال تشنه الدول العربية على الدولة اليهودية بما فى ذلك تدمير السلاح النووى المكدس فى إسرائيل**، وسوف نعود لذلك لاحقا، الذى يجب أن نتذكره أن هذا والسبب الرئيسى فى رفض أى تنازل بالنسبة للضفة الغربية، وقد حللنا ذلك سابقا وسوف نعود إلى هذه النقطة بالذات بتفصيل أكبر فيما بعد.

ثالثاً: أضف إلى ذلك أن الصاروخ وبصفة خاصة القريب المدى، من السهل إخفاؤه قبل استخدامه، بل وبعد استخدامه، فهو متنقل وبصفة خاصة من الممكن بخصوصه إجراء عمليات تمويه عديدة، الأمر الذى يجعل **الجانب العربى فى موقف القوى، بسبب حدوده الطويلة مع إسرائيل، بشرط ن يكون هو البادئ بالقتال، و صاحب المبادرة، وسوف نرى ذلك أيضا تفصيلا فيما بعد.**

رابعاً: وأخطر ما يثيره السلاح الصاروخى هو إمكانية تزويده برؤوس مدمرة، بما فى ذلك الرؤوس الكيميائية والجرثومية، بل والأخبار المتسربة تحدثنا عن أن مصر تنتج صاروخاً (صقر 8) الذى مداه (ثمانون كيلو متراً) والقادر على حمل ذخائر عنقودية، ومن الثابت أيضاً أن سوريا تملك مصنعا متقدماً قادراً على إنتاج رؤوس كيميائية من الممكن

استخدامها ضد المدن، وهنا تكمن حقيقة الخطورة التى يمثله الصاروخ كما تجلى فى حرب العراق وإيران، **فهو سلاح نفسى** بالنسبة للمدن وسكانها وهو سلاح لايمكن إزاءه اتخاذ أية تدابير احترازية على مستوى المواطن، أنه يفرض **مفهوم الأمة المقاتلة وهو سلاح ولو ضمن تكراره بشكل معين، وبدقة معينة من حيث التصويب، وهى أمور جميعها متوفرة فى الجانب العربى بالنسبة للصاروخ القريب المدى، قادر على أن يفرض الاستسلام للمجتمع المدنى قبل العسكرى دون الحديث عن إمكانياته الرهيبة التدميرية.**

التخطيط الإسرائيلى والتعامل مع الموقف:

كأى عقلية تقوم فى تعاملها على التخطيط، فإن إسرائيل لابد وأن تعمل على تحييد هذا السلاح، وهى من ثم تجعل تخطيطها أساسه التمييز بين موقفين، موقف الهجوم الإسرائيلى، وموقف حرب قد تشنها الدول العربية.

فى الحالة الأولى فمما لاشك فيه أن إسرائيل سوف تجد نفسها فى حالة تفوق وبسبب، بصفة خاصة امتلاكها للقنبلة الذرية التكتيكية التى كما سبق ورأينا قلبت رأسا على عقب، جميع الموازين؛ الذى يعنينا **فقط فى هذا الموضع من التحليل، هو الحرب المفاجئة التى قد تشنها الدول العربية.**

ورغم أنّنا نقتصر فى هذه العجالة على تحديد موقع السلاح الصاروخى من الهجوم المباغت من الجانب العربى؛ لأن دراسة هذه الناحية واحتمالاتها سابقة لأوانها، إلا أننا يجب أن نُذكّر ببعض العناصر الأساسية المتعلقة بذلك الموقف، كما يتصورها الجانب الإسرائيلى.

الفكر العسكرى يتساءل: لماذا قد يحدث من الجانب العربى هجوم مباغت كما حدث فى عام 1973.

أسباب ثلاثة قد يبرر أى منها مثل ذلك الهجوم:

الأول: الإرادة العربية **بشأن تدمير السلاح النووى المكدس فى إسرائيل**، وما يعنيه من إمكانيات وبالسلاح التقليدى.

الثانى: الإدارة العراقية الانتقام من إسرائيل بسبب ضرب المفاعل النووى العراقى.

الثالث: الإرادة السورية فى استعادة الجولان.

والأول أخطرها وأهمها مما لاشك فيه، أن العالم العربى مهما قُدّرت له من إمكانيات لن يستطيع أن يتوصل إلى المستوى القتالى الذى تملكه إسرائيل، بخصوص السلاح النووى، أضف إلى ذلك أن الترسانة الإسرائيلية تحتوى من القنابل النووية المتوسطة الحجم على قرابة من (20 إلى 30 قنبلة)، تم تصنيعها وإعدادها قبل التوصل إلى القنبلة

النووية التكتيكية وإن إسرائيل أعدت نفسها لاستخدامها في حرب أكتوبر، وفعلاً كانت لديها الإرادة الحازمة في ذلك، لولا توقف الجيش المصرى عن حدود معينة، ثم أعقب ذلك من أحداث أهمها الثغرة، وما ارتبط بها من حصار للجيش المصرى، **هذه أيضا يجب تدميرها ومن العبث الانتظار حتى تكتمل للعالم العربى إرادة نووية.**

الثاني: وهو المرتبط بالانتقام العراقى، الحساب بين بغداد وتل أبيب، يسمح بجميع الاحتمالات، خصوصا وأن التهديد الإسرائيلى لم ينقطع، وما يحدث اليوم فى لبنان قد يكون مؤشراً بهذا الخصوص، له دلالة ولكن القدرات العراقية الصاروخية وحدها لاتكفى، وما يمكن أن يخشاه المحلل هو أن التوريط العراقى فى لبنان قد يكون وسيلة لاستئصال أو **إضعاف حقيقى للقدرة**[1] **العراقية**، بحيث تفرض عليها معركة مباشرة بين الجيشين، لن تكون نتيجتها لصالح بغداد، الأمر الذى يجب أن يكون واضحاً فى ذهن القيادات العسكرية العراقية، إن هناك فارقاً بين استخدام الصاروخ البعيد المدى كسلاح منفرد ومتميز، والنزول بالجيش إلى ميدان معركة عسكرية، حيث سوف يكون السلاح المستخدم بصفة أساسية هو السلاح الصاروخى القريب المدى.

الثالثة: أيضا يجب إدخالها فى الاحتمالات، سوريا فى وضع لاتحسد عليه، فهى قد تورطت فى لبنان، وهى لم تحقق شيئا رغم مضى فترة خمسة عشر عاما على حرب أكتوبر، خلافا لمصر التى حققت الكثير، من حيث نتائج حرب الأيام الستة. ولكن فى ظل القيادة الحالية السورية فإن هذا أيضا احتمال بعيد التصور.

كيف يتعامل الفكر الإسرائيلى مع جميع هذه الاحتمالات؟

هذه الحقائق جميعها القيادة العسكرية الإسرائيلية على وعى بها، وهى لابد وأن تخطط لمواجهتها، ولكن هل العالم العربى يعرف بذلك؟ هل يدرك بحقيقة قدراته وكيف أنه قادر على أن يهدد الوجود الإسرائيلى ذاته، دون الحديث عن إيقاف المخططات الصهيونية الرامية إلى التوسع فى المنطقة؟

سؤال الإجابة عليه فى حاجة إلى وقفة تأمل.))

---

(1) وقد كان.

obeikandl.com

المبحث الثالث

التطوير الإسرائيلى للسلاح الصاروخى

تحت هذا العنوان كتب حامد ربيع:

«الجوهر الحقيقى لأى تعامل استراتيجى ينطلق من مبدأين كل منهما، يمثل الوجه الآخر لحقيقة واحدة، **المبدأ الأول** هو التقوية الذاتية، **والمبدأ الثانى** هو إضعاف الخصم. التقوية إلى أقصى مستوى، والإضعاف إلى حدوده القصوى، كلاهما يسلك طريقين يكمل كل منهما الآخر. التقوية تعنى إبراز ملامح القوة واستخدامها الاستخدام الأمثل، والإضعاف يعنى شل نواحى القصور وإحالتها إلى كم مهمل هذه العناصر التى تصير أساسية فى التعامل مع الذات، تنقلب بتوظيف مختلف مع العدو، بحيث يصير محور الاستراتيجية بها والتضخيم فى عناصر الضعف، بحيث تمثل كماً أكثر مما تعبر عنه حقيقة.

وبعبارة أخرى، فإن أى استراتيجية حصيفة يجب أن تنطلق من حيث مضمونها فيما يتعلق بالتعامل مع الموقف من أربعة مبادئ، تكون نسيجاً متكاملاً لفلسفة الحركة.

أولاً: الإبراز والاستغلال الأمثل لعناصر القوة الذاتية، فالسياسة العسكرية الإسرائيلية – على سبيل المثال – تملك عنصرين هامين للقوة (الأول) القنبلة النووية التكتيكية (والثانى) التعاون الاستراتيجى مع الولايات المتحدة الأمريكية، هذان العنصران رغم أنهما ليسا أهم عناصر القوة فى الدولة الإسرائيلية، إلا أن التضخيم فى كليهما يزيد من خلق القناعة بقوة إسرائيل إلى درجة مبالغة.

فمما لاشك فيه أن القنبلة النووية التكتيكية عنصر قوة لايستهان به، رغم ذلك فهو ليس أهم عنصر، ولكنه أكثرها صلاحية، للتضخيم، كذلك التحالف مع الولايات المتحدة فضلا عن أنه يزيد من الهيبة، ويكثر من عناصر الصداقة، إلا أنه أيضا يطرح موضوع الأسطول السادس وإمكانياته فى التعامل مع موضوع الصراع العربى الإسرائيلى.

ثانياً: ثم شل نواحى الضعف والقيام بعملية تمويه بخصوصها، إسرائيل ضعيفة استراتيجياً؛ بل هناك من عناصر الضعف ما هو قاتل، لقد سبق وذكرنا كيف أن أرض فلسطين التى تعيش عليها إسرائيل لم تكن فى أى مرحلة من مراحل التاريخ مصدراً

لقلاقل، إنها مجرد معبر يجتازه القادمون من الشرق نحو أرض الحضارة فى وادى النيل، أو يخترقه الفراعنة وأحفادهم، وهم يتجهون إلى الشرق العربى، يبثون فى ربوعه الحضارة والمدنية، وهى كذلك معزولة تحيط بها البحار المتسعة، البحر الأبيض المتوسط لقرابة أربعة آلاف كيلو متراً غرباً، والبحر الأحمر بدوره يمتد إلى الجنوب ليجعلها مخنوقه بحريا كما هى مخنوقة برياً، بفضل حائط العداوة الذى يحيطها، ولكن إسرائيل بحنكة وذكاء استطاعت أن تشل عناصر الضعف، فهى أولاً كما سبق وذكرنا جعلت أحد أسس سياستها التعاون الاستراتيجى مع الولايات المتحدة، الأمر الذى مكنها من الاعتماد على الأسطول السادس للدفاع عن نفسها، ثم هى ثانيا خلقت مسالك متعددة للتعاون مع حلف الأطلنطى وصلت إلى حد تبادل المعلومات الأمنية، كذلك فإن علاقتها مع الحبشة ليست فى حاجة إلى تفصيل، ويكفى أن نتذكر أنها تحتل وتستأجر على مدخل باب المندب قرابة ثمانين جزيرة صغيرة، قد وضعت فيها مراكز للمراقبة، وسلحت بعضها بحيث يستطيع فى أى لحظة أن تقفل ذلك المدخل لحسابها، ورغم أن مصر تنبهت لأهمية باب المندب قبل أن تنتبه له تل أبيب، وكان لذلك دور فعال فى حرب أكتوبر، إلا أنها – حتى هذه اللحظة – لم تدرك مدى الضعف الاستراتيجى لإسرائيل فى الجانب الآخر، أى البحر المتوسط، لو أن **مصر استخدمت سلاح الضفادع البشرية فى حرب أكتوبر بقدرة معينة وهو فى متناول يدها، لكانت قد استطاعت إلى حد معين أن تمنع نزول السلاح الأمريكى الذى مكن إسرائيل من استيعاب الهزيمة بل وتحويلها إلى نوع من النصر فى عام 1973.**

شل عناصر القوة:

ثالثاً: ثم شل عناصر القوة فى الجانب المعادى، بحيث لايستطيع أن ينتفع بها فى قتاله العسكرى، أو السياسى، فلو نظرنا إلى العسكرية الإسرائيلية لوجدنا أنها تطبق هذا المبدأ بوضوح، بل وطبقته فى صورة صريحة قاطعة عام 1967. لقد كانت قوة الجانب العربى عنصر الإحاطة والحصار، حيث كانت الجبهات العربية ثلاثا؛ ولو أن هذه الجبهات كانت تمثل درجة معينة من التناسق، لاستطاعت أن تمزق إسرائيل، يكفى بذلك الضغوص هجوم قوى فى الشمال والشرق، يفرض على القوات الإسرائيلية تثبيتها فى الجبهتين، مما يسمح للقوات المصرية اختراق صحراء النقب وشطر إسرائيل إلى قسمين، ثم يعقب ذلك اختراق آخر، عقب تثبيت القوات الإسرائيلية فى الجبهة الجنوبية، والأخرى الشمالية من الضفة حتى القدس، فالبحر المتوسط الذى يعنى تجزئة إسرائيل إلى ثلاثة أقسام، ثم الدق على كل قسم منها على حدة لمواجهة ذلك، **نجد إسرائيل قررت الحرب الخاطفة المجهضة، واستطاعت أن تخلق الاضطراب العنيف فى الجبهة المصرية، ثم عقب أن قضت على كل إرادة للتحدى فى الجيش المصرى، استدارت للجبهات الأخرى، ولعل هذا يؤكد مرة أخرى نقص الفكر الاستراتيجى العربى، بما فى ذلك المصرى، الذى لايزال يعيش حالة استرخاء مخيفة ومحزنة.**

رابعاً: وأخيراً عملية تضخيم مبالغ فيها بقدر الإمكان، ولو من خلال الحرب النفسية التى تتجه إلى العدو المقاتل، المجتمع العربى كأى مجتمع آخر ممتلىء بنواحى النقص، ولكن هل هى قاتلة؟ هل فقط هذا المجتمع هو الممتلىء بالنقائص.

الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية استطاعت بدهاء، لايمكن التشكيك فى عمقه وقدراته - أن تكشف هذه النواحى وتتعامل معها بفاعلية، لانستطيع أن نشكك فى نجاحها، ولنتذكر على سبيل المثال **سلاح المخدرات**. فالمجتمع المصرى عرف نوعا معينا من المخدرات، وتعامل معه خلال فترة طويلة من تاريخه ولكنه عرف نوعية ليست خطيرة ، وهى منتشرة فى طبقات معينة وفئات محددة تتميز بأنها منغلقة اجتماعياً. إسرائيل فهمت ذلك ومدى ما يستطيع أن يقدمه لها من إمكانيات، وخلال فترة لم تتجاوز عشرة أعوام، أحالت مصر إلى مجتمع يعيش وينهل من هذا النبع(*) فى أسوأ نماذجه وأكثرها خطورة.

هذه المبادئ تسيطر على الفكر العسكرى الاستراتيجى الإسرائيلى، كيف يتم ذلك بصدد الأسلحة الثلاث التى سبق وحددنا خصائصها؟

هذا هو السؤال الذى نتصدى له فى هذه الصفحات.

القلق فى الفكر العسكرى الإسرائيلى والسلاح الصاروخى العربى:

هذا السلاح هو مصدر ذعر حقيقى فى الفكر العسكرى الإسرائيلى، أحد أهم بنود القلق فى الإدراك القتالى اليهودى، هو السلاح الصاروخى. لقد سبق أن رأينا أن ميلاد المجتمع الجماهيرى، بمعنى الأمة المقاتلة، هو العنصر الثانى. وكلاهما يرتبط بالآخر. والفكر العسكرى الإسرائيلى لذلك يَعُد عُدته لمواجهة كلا المتغيرين بديناميكية معينة. الأول هو الذى يعنينا مؤقتاً.

والأسباب التى تخلق ذلك القلق وتفرض المواجهة عديدة:

أولاً: فإسرائيل دولة صغيرة محدودة المساحة، ومن ثم فإن هجوماً صاروخياً منسقا وبصفة خاصة. من الأردن وسوريا، تساندهما مصر والعراق والسعودية بالصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى، يستطيع أن يصيب جميع القواعد الاستراتيجية فى اسرائيل دفعة واحدة.

ثانياً: وسكان إسرائيل يقيمون فى مثلث محدود بين القدس وتل أبيب، ويافا، حيث - أيضاً - جميع القدرات الصناعية للدولة تقريبا تتواجد قرب هذا المثلث بكثافة معينة يعنى القضاء فى عناصر التماسك المدنى، فضلا عن سهولة تدمير جميع مرافق الحياة المدنية والصناعية التى تمثل الحائط الذى يجب أن يستند إليه القطاع العسكرى.

ثالثاً: توفر السلاح الصاروخى بكثرة لدى الدول العربية المجاورة، يسمح لهذه الدول

(*) البانجو.. وزراعته.

بالقيام بهجوم ساحق مجهض، الأمر الذى يجعل إسرائيل تدخل الحرب وهى قد فقدت مقدماً جميع عناصر قوتها، خصوصا فيما يتعلق بالتعبئة؛ لأن إسرائيل تعتمد على جيشها الاحتياطى، وهجوم مُركّز ومنسق صاروخى سوف يؤخر، إن لم يعطل عملية التجميع لقواتها العسكرية، وهذه فى ذاتها ضربة قاتلة بالنسبة للأداة المقاتلة الإسرائيلية.

رابعاً: بل إن هجوماً بهذا المعنى، يمكن أن يقطع كل علاقات إسرائيل بالخارج، ونحن نعلم أن أى خطة دفاعية لإسرائيل، لابد وأن تستند إلى سهولة الاتصال من خلال موانئها بشرق البحر المتوسط، هجوم مُركّز على تلك الموانئ سوف يفرض على إسرائيل نوعاً من العزلة القاتلة.

بطبيعة الحال لايكفى الهجوم الصاروخى بذلك الخصوص، ولكنه كما سوف نرى فيما بعد فى تخطيط المعركة القتالية، فإن هذا يصير العنصر الأساسى الذى يجب أن يأتى فيكمله سلاح الضفادع البشرية.

ولكن هذا موضوع آخر، أضف أيضا ما تسمح به الانتفاضة من إمكانيات الناحية التى يجب أن نؤكد عليها، هو الدور الخطير الذى يستطيع أن يلعبه الصاروخ فى هذا الهجوم المحتمل، كذلك يجب أن نلاحظ خطورة مثل هذه العملية، سواء على تموين إسرائيل بالسلاح أثناء الحرب، أو على علاقة المساندة من جانب الأسطول السادس الأمريكى فى البحر الأبيض المتوسط، لو استخدم مثل هذا السلاح من منطلق هذا التصور أثناء حرب أكتوبر، لما كانت إسرائيل استطاعت أن تنقذ نفسها من الضربة القاتلة التى أصابتها على ضفاف قناة السويس.

خامساً: وأخيرا فإن موقف إسرائيل بسبب مشكلتها الديموجرافية حساس، من حيث الخسائر البشرية، والذى نعلمه من خبرة حرب الخليج، أن كل صاروخ يقتل فى المتوسط من (خمسة عشر إلى عشرين شخصاً) ودون استخدام سواء السلاح الكيميائى أو السلاح البيولوجى، وهذا يعنى أن ألف صاروخ من الجانب العربى سوف يقضى على عشرين ألف إسرائيلى دون الأخذ بالاعتبار أن إسرائيل تتمركز كثافتها السكانية فى بقعة محدوده وضيقة، الأمر الذى يزيد من احتمالات الخسارة على الأقل بنسبة 50٪، ومن ثم فإن عدد القتلى فى هجمة واحدة مكثفة يمكن أن يصل إلى (ثلاثين ألف مستوطن) باستخدام فقط السلاح الصاروخى من جانب الدول المحيطة بإسرائيل، أى سوريا والأردن ومصر ونحن نتحدث فقط عن الصاروخ القصير المدى، وهذا يعنى أن استخدام هذا السلاح ضد إسرائيل سوف يعرضها لخسائر لا حصر لها، ربع هذا القدر من القتلى أكبر مما خسرته إسرائيل فى جميع حروبها منذ إنشائها حتى اليوم.

الصواريخ .. والديموجرافيا:

هذا السلاح الصاروخى يملك مزايا أخرى، ترتبط بالمشكلة الديموجرافية فى إسرائيل:

1 – فمن الممكن أن تتم هذه العملية خلال عدة أيام قليلة، بل وخلال عدة ساعات متتالية، لو تم توزيع المصاطب المعدة لإطلاق الصواريخ. إن خمسين مصطبة قادرة على أن تُطلق بمعدل عشرة صواريخ يومياً، أى عشرين صاروخاً خلال يومين، ومن ثم فهى قادرة على إطلاق ألف صاروخ فى فترة لن تتجاوز (خمسين ساعة)، المصاطب المعدة لإطلاق الصواريخ القصيرة المدى، كما سبق وذكرنا يمكن تنقلها بسهولة من موقع إلى آخر عقب إطلاق الصاروخ مباشرة، الأمر الذى يجعل من رد الفعل من الجانب الإسرائيلى أمراً محدود الفاعلية، فلنتصور ما يمكن أن يترتب على مثل ذلك الهجوم من فوضى فى داخل إسرائيل أيضاً بخصوص الإسعافات الطبية السريعة.

2 – مثل هذا الهجوم يصير كارثة حقيقية، خصوصا لو اقترن بهذا الهجوم المكثف بالصاروخ القصير المدى، هجوم آخر ولو بعدد محدود بالصواريخ البعيدة المدى من جانب – على الأقل – العراق دون الحديث عن إمكانيات السعودية ومصر.

3 – وعلينا أن نتذكر أن السلاح الصاروخى لايتضمن قتالا مباشراً، أى بين طرفين متماسكين وجهاً لوجه، وهكذا فإن السلاح الصاروخى يسمح بتجاوز هوة التفوق البشرى الإسرائيلى حتى إن وجدت ومهما وجدت.

4 – كذلك فإن السلاح الصاروخى يصيب الهدف المتجه إليه دون أن يعرض المصدر له بأية نتائج مباشرة، إلا إذا حدث تبادل لإطلاق الصواريخ، وفى هذه الحالة نلحظ أيضاً كيف أن إسرائيل سوف تصير فى موقف الضعف لسببين، من جانب بسبب حدودها التى تتميز بقصرها. ومن جانب آخر بسبب الكم البشرى فى مواجهة الدول العربية المحيطة بها. بمعنى آخر فإطلاق كم متساو من الصواريخ من الجانبين لن يُحدث آثاراً متساوية. لتستطيع إسرائيل أن تصل إلى إحداث نفس الآثار فى الجانب الغربي، من حيث التدمير والقتل، وخلق الارتباك فى الأداة القاتلة، فهى فى حاجة إلى إطلاق عدد يمثل ثلاثة أمثال العدد من الصواريخ الذى تطلقه الدول العربية.

السلاح الصاروخى ونتائج انتشاره فى العالم العربى والفكر العسكرى الإسرائيلى:

انتشار السلاح الصاروخى لدى الدول العربية وتدعيمها بأسلحة أخرى جانبية تقوى من فاعلية السلاح الصاروخى، كالقنابل العنقودية أو الرؤوس المحملة بالقنابل الجرثومية، أو الكيماوية هو عنصر القوة الحقيقى فى الجانب العربى، وهو موضع التفكير المستمر فى

الإدراك الإسرائيلى. وقد استطاعت الدبلوماسية الصهيونية أن تضع من حيث الواقع قيوداً حقيقية على إمكانيات التعاون مع الدول المتقدمة والصناعية، بشأن التعاون مع الدول العربية بخصوص الحصول على هذا السلاح أو تصنيعه محلياً.

ورغم أن الدول العربية تجاوزت هذا الحصار، بالالتجاء إلى بعض دول العالم الثالث المتقدمة فى هذه الصناعة، مستغلة حاجة هذه الدول إلى السيولة النقدية، ورغم أن الاتحاد السوفيتى قدم بدوره بعض المساعدات الجادة فى هذا النطاق.

إلا أن مستوى السلاح الصاروخى الذى تحصل عليه إسرائيل أو تُصنّعه أكثر قدرة وأكثر كفاءة من مستوى السلاح الصاروخى المتوفر لدى أغلب الدول العربية.

ولكن هذا لايكفى إسرائيل، ففى حرب مفاجئة من الجانب العربى، هذا العنصر للتفوق لن تكون له قيمة، موضع تأثيره الحقيقى لو حصلت حرب يتبادل فيه الطرفان التعامل الصاروخى دون مفاجئة بالقتال من الجانب العربى.

على أن الفكر العسكرى الإسرائيلى لايقف عند هذا الحد. إنه يضع لنفسه مجموعة من الخيارات كل منها يملك خصائصه:

1 – أول هذه الخيارات اتخاذ إجراءات جدية محورها الحقيقى تدمير بطاريات الصواريخ العربية، هو ما سبق وأعلنه الجانب الإسرائيلى، بتهديد صريح واضح مع المملكة العربية السعودية، ويقال: إن الولايات المتحدة هى التى تدخلت بحزم فى واجهة هذا التهديد. على أن هذا الإجراء الذى قد يبدو لأول وهلة سهل التنفيذ، يفترض معلومات دقيقة من جانب، وعمليات عسكرية ومتعددة من جانب آخر، بما فى ذلك عمليات إنزال وما تعنيه من استعادة القوات التى أنزلت حتى تضمن إسرائيل نجاحها تدمير مفاعل نووى أسهل بكثير، فضلاً عن أن نتائجه حاسمة أما بالنسبة للصواريخ، فكما سبق وذكرنا فهى تتميز بأنها متنقلة يسهل إخفاؤها، فضلا عن أن انتشارها يثير مشاكل أخرى.

2 – كذلك إن الفكر العسكرى الإسرائيلى، تصور إمكانية القيام بهجمات مكثفة ضد الأهداف الاقتصادية والصناعية العربية، هذا الإجراء أكثر سهولة، ولكنه أفدحها من حيث النتائج، لأنه من حيث جوهره يعنى حربا مجهضة وبعبارة أخرى، لايمكن فصله عن عملية شن قتال واسع النطاق مع الدول العربية التى تمثل خط الهجوم المحاصر لـ «إسرائيل».

إسرائيل تستعد لمثل هذه الحرب ولكنها تعلم أن هذه الحرب أيضا فى حاجة لإعداد معين، بالنسبة للإطار الدولى الإقليمى والداخلى، وهو أمر لم يكتمل بعد، وفى حاجة إلى فترة معينة وبصفة خاصة بسبب الاضطراب الداخلى فى الدولة العبرية.

3 – تنظيم دفاع مدنى شامل لحماية السكان، وهو أمر مهما تقدم فلا يمكن أن يحقق

سوى أهداف جزئية، فهو لم يمنع من احتمالات التدمير، ولن يمنع من قتل من يصاب من جانب الصواريخ، وتدمير ما يقع فى دائرة تلك الصواريخ، كل ما يمكن أن يحدث هو الحماية من السلاح الكيميائى والجرثومى من جانب، وتقوية إرادة المواجهة من جانب آخر.

4 – تطوير صاروخ مضاد للصواريخ، وهذا هو السلاح الحقيقى الذى يمثل المحور الذى تدور حوله نظرية القتال فى الإدراك العسكرى الإسرائيلى. كيف؟

عملية تطوير نظام «إسرائيلى» مضاد للصواريخ العربية:

الصاروخ الذى علا فى الفترة الأخيرة فى تل أبيب، والذى تجاوبت معه واشنطن، والذى انتهى بالقبض على مصريين بتهمة التجسس، والحصول على معلومات، ومواد استراتيجية ترتبط بتصنيع الصواريخ، وأعقبها التخلص من وزير الدفاع المصرى، لايمنع من أن إسرائيل هى التى أدخلت السلاح الصاروخى فى المنطقة، وأنها هى التى تتعاون مع الصين فى تطوير هذا السلاح، والتى قد يصير فى المعركة القادمة بين العرب وإسرائيل هو السلاح الحاسم، والذى قد يغير جذريا من خريطة الصراع الدولى فى منطقة الشرق الأوسط.

فلنتابع تطور السياسة الإسرائيلية بصدد السلاح الصاروخى:

أ – فإسرائيل هى التى أدخلت الصواريخ فى المنطقة، فرغم المزاعم التى خرجت من القاهرة لم تستطع مصر أن تحيل برنامجها الصاروخى إلى حقيقة فعالة فى الاتجاه إلى التسلح الصاروخى، كما أثبتت الأحداث على أنه سلاح الغد، فإنه لم يثبت فعالية حقيقية فيما يتعلق باختيار القائمين على المشروع.

إسرائيل على العكس ومنذ عام 1968 كانت تملك فعلاً صاروخاً [أريحا – 1] الذى تم تصميمه **وتنفيذه بتعاون سرى مع فرنسا**، وبينما كان ديجول يعلن فى مايو 1967 أن من يبدأ الحرب لن يكون إلا موضع نقد وتأنيب من باريس، وأوقع بذلك جمال عبد الناصر فى الخديعة التى كلفت مصر غالياً، كانت **جميع السلطات الفرنسية تعمل بجد ودأب، لتمكن تل أبيب من أن تملك أقوى سلاح فى الترسانة الإسرائيلية**. هذا الصاروخ [أريحا – 1] هو صاروخ متوسط المدى، يبلغ مرمى إصابته إلى ما يقرب من (أربعمائة كيلو متراً) عقب ذلك بعدة أعوام، وقبل حرب أكتوبر كانت إسرائيل قد حصلت من الولايات المتحدة على صواريخ [لانس] التى تصل إلى (130 كيلو متراً) وقد استخدمت الصواريخ فى حرب أكتوبر على نطاق ضيق، على أن مصر كانت تملك بدورها عدداً محدوداً جداً من الصواريخ (بحر – بحر) وقد استخدمت أحدها فى تدمير الباخرة إيلات، والواقع أن إسرائيل فى تلك الفترة بدورها كانت قد بدأت تكثف تجاربها على هذا النوع من الصواريخ (بحر – بحر) عقب خبرة المدمرة إيلات، ولتستطيع بها تعويض النقص الواضح

فى الأسطول البحرى الإسرائيلى خلال تلك الفترة، فإن التعاون بين إسرائيل وكثير من دول العالم الثالث فى هذا النطاق كان مكثفاً، فهى تتعاون على قدم وساق مع إيران وتايوان دون أن ننسي دولة اتحاد جنوب إفريقيا، على أن التعاون برز عقب ذلك مع الصين والواقع أنه رغم عدم وجود علاقات دبلوماسية بين بكين وتل أبيب، فإن الجانبين قد أقاما شبكة حقيقية للتعاون الفعلى منذ منتصف الثمانينات، فى نواح عديدة منها – على وجه الخصوص – السلاح الصاروخى كان للطرفين أهدافها. الصين ترى أن هذا التعاون بابا خلفيا للحصول على التقنية الأمريكية، وتل أبيب تعتبر هذا مصدراً أساسياً للحصول على مزيد من القدرة الاقتصادية، هذا التعاون هو الذى أنتج الصاروخ، [أريحا – 2] والذى أطلقته إسرائيل فى يوليه 1987 وقد أثار هذا الصاروخ عدة ردود فعل يجب تسجيلها:

1 – أول ما أثاره أنه يصل من حيث مداه إلى **(ألف ميل)** أى أنه يغطى جميع دول المواجهة العربية.، بل ويصل ليس فقط إلى طهران، بل كذلك إلى جنوب الاتحاد السوفيتى.

2 – إن هذا الصاروخ أُنفق عليه من جانب إيران، **وتم بالتعاون مع الصين، وبعلم بل وتشجيع من جانب الولايات المتحدة.**

3 – إن أول من شَعُر بالقلق نتيجة لهذا الصاروخ هو الاتحاد السوفيتى، بل وعلقت على ذلك الدوائر المسؤولة بلغة وعبارات صريحة وقاسية.

4 – إنه ارتبط بهذا الصاروخ حدثان، كلاهما يجب أن يكون موضع تساؤل:

أولاً: وهو الاتفاق بين واشنطن وموسكو على إلغاء إنتاج الصواريخ متوسطة المدى، وهذا الصاروخ يدخل فى هذه الدائرة.

ثانياً: وهو امتناع موسكو عن تزويد كل من دمشق وبغداد بصواريخ [اس – اس 23] المتقدمة والدقيقة التى تعهدت موسكو بوقف إنتاجها.

ب – فى هذا الإطار وتحت تأثير الأحداث والتوقعات السابق ذكرها فى المنطقة العربية، برزت نظرية الأمن القومى الإسرائيلى، فى بُعْدٍ جديد، ففى صياغتها المعاصرة فى بنيانها العسكرى، تبنت القيادات الإسرائيلية القول بأن انتشار الأسلحة الصاروخية والكيماوية المتطورة فى الدول العربية، أضحت تمثل خطراً استراتيجياً يجب التعامل معه بجدية وحذر.

أسباب ذلك فى الفكر العسكرى الإسرائيلى عديدة:

أولاً: أن السلاح الصاروخى سلاح هجومى.

ثانياً: أن السلاح الصاروخى يمكن أن يهدد الخيار النووى الإسرائيلى.

ثالثاً: أن هذا السلاح خطر مستقبلاً على القوات الأمريكية المرابطة، أو التى يمكن أن تتواجد فى منطقة الشرق الأوسط.

وهذا أوجد التلاحم بين نظرية الحرب الإسرائيلية، ومفهوم الأمن القومى الأمريكى.

جـ – هذه المقدمات هى التى قادت إلى طرح موضوع تطوير نظام إسرائيلى مضاد للصواريخ.

ما معنى ذلك:

معنى ذلك: بناء نظام يستطيع أن يصطادالصاروخ وهو فى طريقه إلى الهدف، فيقضى عليه قبل أن يصل إلى مرماه بفترة ومسافة كافية، هذا النظام الذى استطاعت تل أبيب أن تُقْنع واشنطن بجدواه، لايزال فى حيز الدراسة، ولكنه من المتوقع أن يصير فاعلاً فى القريب العاجل، فهو أولا كان موضوع تفاوض بين الطرفين الأمريكى والإسرائيلى، وقد تعهدت الولايات المتحدة أن تتولى الإنفاق عليه فى حدود 80٪ من تكاليفه، بل واعتبرته جزءاً من ذلك الذى يُسمى «مبادرة الدفاع الاستراتيجى» والثابت أن إسرائيل تعمل فى نطاق هذا الموضوع من حيث الأبحاث المكثفة منذ عام 1983 عندما حصلت سوريا على بعض الصواريخ السوفيتية [اس – اس 21] وهى المعروفة بدقة تصويبها، وهناك تعاون بين إسرائيل وحلف الأطلنطى بهذا الخصوص، بل وعلى درجة عالية من التقدم.

مزايا هذا النظام مزدوجة:

أولاً: إنه يستطيع اصطياد أو بعبارة أخرى أكثر دقة اعتراض أى صاروخ فى حدود (مائة ميل).

ثانياً: إنه قادر على إطلاق وقذف نوع معين من الذرات فى اتجاه الصاروخ بحيث يعطل رؤوسها الحربية قبل أن تصل إلى الهدف.

وهناك من يتحدث عن إمكانية هذا النظام، فى تفجير الصاروخ، أثناء انطلاقه وهو فى الجو على بعد معين من محطة إطلاقه، وفى حدود مكانية معينة، وهذا يعنى أنه يقلب الموازين، بحيث تصير المزايا التى يقدمها الصاروخ لمن يطلقه وبالا عليه، بمعنى أنه قد يسمح بتفجير الصاروخ فى نفس الأرض المعادية التى انطلق منها، رغم ذلك فيجب أن نسجل ملاحظتين.

الملاحظة الأولى: أن كل ما يقال عن تطوير صارخ مضاد لايزال فى حيز الأسرار التى لم تكشف عنها الكتابات المتخصصة.

الملاحظة الثانية: أن هذا التطور فى بناء نظام يسمح باصطياد الصواريخ أثناء

عبورها الجو الإقليمي، محدود الفاعلية، إن لم يكن لا فاعلية له بالنسبة للصواريخ القصيرة المدى بسبب قصر الفترة التى تمضى بين إطلاقه وإصابته للهدف المقصود، ومن ثم فإنه لا يزال الاختلال لصالح القدرة العربية قائم ولو فى حدود معينة.

المعركة القادمة وملامحها الأساسية من الجانب الإسرائيلى:

والخلاصة: إن ملامح المعركة القادمة التى يجب أن تشنها إسرائيل على الجانب العربى تتميز بالخصائص التالية:

أولاً: سوف **تكون حربا هجومية مفاجئة سريعة**، بحيث يستطيع الجانب العربى أن يتمتع بميزته، بفضل السلاح الصاروخى وبحيث فى وثبة خاطفة تستطيع تدمير هذه الصواريخ أو على الأقل جزء كثير منها، وبصفة خاصة الصواريخ البعيدة والمتوسطة المدى.

ثانياً: سوف تستخدم السلاح الكيميائى والجرثومى فى خلق الفوضى والقضاء على الإرادة المقاتلة بالنسبة للدول المحيطة بـ «إسرائيل» مباشرة وعلى وجه التحديد سوريا والأردن ولبنان ومصر.

ثالثاً: وسوف تستخدم القنبلة النووية التكتيكية، فيما هو أبعد من ذلك – وبصفة خاصة لإصابة أربعة أهداف أساسية فى العراق، منطقة الموصل وفى الخليج مضيق هرمز وفى وادى النيل السد العالى وفى ليبيا منطقة طرابلس.

تفصيل ذلك فى حاجة إلى تحليل أكثر تفصيلاً من مجرد التعامل مع الاستراتيجية القتالية، على أننا قبل أن نتناول ذلك، علينا أن نتساءل ومتى تفكر إسرائيل فى تحقيق مثل هذه الخطة؟ سؤال آخر لابد وأن يقودنا إلى السلاح الرابع والذى تحتويه الترسانة الإسرائيلية وهو السلاح البحرى.»